# عين طفل

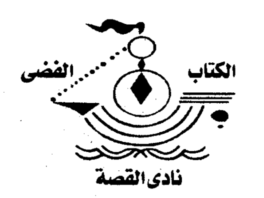
مجموعة قصصية

د. مرعى مدكور

المؤلف : د. مرعى مدكور
الكتاب : عين طفل
الناشر : نادى القصة
الطبعة الأولى : ٢٠٠٤
رقم الايداع : ٢٠٠٤/٨٠٩٤



نادى القصة
٦٨ شارع قصر العينى - القاهرة
ت: ٧٩٤١٩٢٩




## هيئة المكتب

"على الإنسان : في أحيان كثيرة : أن يستعيد عناد الطفولة كي يدافع عن نفسه، وأن يستعير لسانها كي يجرؤ على قول الحق.."

إبراهيم الكوني
«الدمية»

رسوم الفنانة: ريم عزمي

إهــداء:

لـ «أحمـد مرعــى»..

عينى الآملــة..

# عين حمراء ( آخر مَرْحلة )



2004

**ويبقى** صاحبنا طـول قعدته، على عقصـة ذيله؛ مثل قط مسعـور يهم بالوثوب على فريسته: عنقـه مقوّس، وعيناه ضيقـتان تلمعان كقطعتى زجاج تـنعكس عليهما الشمس، عين علينـا فى عز الشُغل نُراقب داير الناحـية وأزِّقتها - خوفاً من كبـسة عيال شرق البلد - وإنهماكنا فى سَن أقـحاف النـخل وبَرْى أنشاو الجـريد وتجـهيـز السياط المنقوعة فى الزيت؛ والتى تتلوى لَىْ الثعابين مع طَرْقات مسـموعة تُكهرب الجسـد الذى تطوله وتشويه، وعينه الأخرى تتنمر بالشاردة والواردة.

صاحبنا رغم نحافته وقلّة جـسده؛ يظل فى قرفصته متنمراً فى انحناءه نحو الأرض، إحدى قدميه مثنية تحته حتى يكاد كعبه يخترق فـتحة مؤخرته، وقدمه الأخرى القصـيرة - أيضـاً - للإنقضـاض وأخذ ضـحيتـه على خوانه: عندها يفِّز واقفاً ويهاجم ضـحيته؛ يدور حولها وهو يتطوح كـأنه جمل شـربته الريح فبـدأ حمـحمـته وبرجـمتـه؛ ثم نفـاجأ به ينط لأعلـى وينطحه برأسـه

فيجعله يبُك الدم من منخاره ومن حنكه، والمضروب وحظه: ربما يشخب الدم من فتحة دماغه - أيضاً - ويطرطش علينا، بعدها تتخبط الفريسة بين يديه (مثل عصفور رماه قدره وسط حجرة أُغلقت منافذها فبدأ يتخبط ويفلفص من أجل الخروج) وعندما تعييه الحِيَل يترنح الضحية فيطرحه أرضاً؛ وهات يا هرس، وضرب، وخمش، وعض، ثم - فجأة - يقلبه على بطنه ويعرِّى مؤخرته ويركلها بقدمه الجرباء؛ ثم يبصق: «تفُو» لينسحب الضحية بعدها مكسور النفْس يجر رجليه جهة بيته؛ ووجهه فى عِبِّه؛ ولا تراه الشمس عدة أيام، بعدها يُقبل على قعدتنا ويده اليمين فى سيّالته قابضة على نصف رغيف طرى يتوسطه «مَنَابَه» من اللحم ويضعه فى الحِجْر المفرود أمامه، ويكون هذا عربون انضمامه إلينا، وفى الوقت نفسه يكون صاحبنا؛ بعينيه الشيطانيتين اللتين تشعان جرأة؛ ما يزال - فى قرفصته على عقصة ذيله - مذموم الوجه، وصافرته

الشارخة؛ التى تخرج من فمه إثر تكويرة مفاجئة وحادة للشفتين؛ تُخيف العيال وتُربك جنس الحريم، وكأنه ففى قرفصته يعريهن «بلبوصات» منذ أن تطف الواحدة عابرة وتدخل دائرة ضوء الكلوب الشاحبة المرمية على المكان الذى تتوسطه قعدتنا، حتى أن أكثر من واحدة تكعبلت فى سيرها؛ إثر صافرة مباغتة شارخة؛ ووقع مقطف الدقيق من فوق رأسها وعفّر الوسعاية فتحولت أرضها بيضاء مثل اللبن الحليب. .

الولد البندرى عونى، ابن أم خميس؛ هو الوحيد الذى استعصى على صاحبنا، نراه يفوت مرات على قعدتنا مشنوطاً فى يد والده (عسكرى النقطة الذى اكترى أحد البيوت واستقرّ فى قريتنا) وكل مرة يرمينا ببصّة عابرة ولا يرمش له رمش، حتى مع الصفافير والهَرْج والمرْج، ننادى عليه ولا هو سائل!! . . وآخرتها بدأنا نضحك عليه لما أخبرنا واحد منا أنه - الولد البندرى - دق بابهم اليوم يطلب كبشة نُخالة لأمه، ولما

سألوه عن اسمه؛ قال:

- أنا ابن أم خميس

من يومها ما أن يطّف؛ بجوار والده غالبا؛ فى ضوء الكلوب الشاحب حتَى تنطلق أصواتنا فى نفَس واحد وبتنغيم وتصفيق وضرْب أرجلنا بالأرض: «ابن أم خميس.. ابن أم خميس»!!..

وحتى مع هذه المهزأة؛ ولا هو هنا، نظل على هذا التنغيم حتى يختفى مع والده تاركين بقعة الضوء الفارشة قعدتنا، نعود بعدها إلى أنشاو الجريد والسياط، بعد أن تمسح أبصارنا؛ بشماتة؛ صاحبنا المقرفص على عقصة ذيله، كأننا نتشفي فيه، فلا الولد البندرى انضم لقعدتنا، ولا انشغلنا بأشغالنا خوفاً من مباغتة عيال شرق البلد، مع أن المولد دخلت أيامه، وهو منكّب بيديه النحيلتين وأصابعه المقوّسة التى تنتهى بأظافر طويلة - مسودة من نصفها العلوى - على ما فى

حِجْـره: يخـمش هُبر اللحم المتكومـة أمامـه فى قلب أرغفة طرية أو قـطع بتّاو مبلول أو مقـمّر أو خارج من الفـرن بناره، شفـتاه تتلمظان، وتلمع أسنـانه الأمامـية الحادة - الشبـيهة بمنشار - كلما فـتح حنكه على آخره بين حين وآخر ليـتكرّع؛ فى صوت منّفر؛ كـأنه يُخرج النار من جوفه، ويده لا تسكت عن فرز ما فى حجْره: حتت لحم، قصاصات قماش مختلفة الألوان والأشكال من تحت ماكـينة الخياطة الـوحيدة فى القـرية، وأشرطة برشام رمتـها عربة طافت الشوارع صبـاح اليوم وجرينا خلفهـا؛ وميكروفونـها يزعق: «أسبـيول دوش، لوجع الزور وألم البـرد والصـداع» وأنصـاف أمواس حـلاقـة قـديمة، وعلب كبـريت فـارغة أو بـها ثلاثة أو أربعـة عيدان، وبقايا أقـلام رصاص، وورق كراسات، وورق رسم، وصـور بنات، ومـسامـيـر، و. . و. . ويهم - صاحبنا - على عقصة ذيله؛ مشيراً بنظرة واحدة لواحد أن يلم ما كوّمه أمامه نظير عشرين فضة أو قرش صاغ،

ترتخى رأس من وقع عليه الإختيار وينصاع للأمر دون مناقشة؛ ويبدأ التفكير فى تدبير المعلوم.. فى الوقت الذى يبقى فيه هو على عادته يشاكل طوب الأرض وعينه فى أكثر من ناحية: يكّور يديه؛ الناحلتين؛ على شكل بوق يقربه من أذن أقرب واحد بجانبه ويجعر بصرخة مدوية تزغفه، أو يكمش يديه على دبّور؛ ثم يمسكه بأصبعيه من جناحيه الصغيرين الحمراوين؛ وفى نطرة واحدة يكون قد رماه فى قفا واحد؛ وعلى اللحم؛ وفى ثوان تكون صرخة صاحب القفا لرب السماء، أو يتنّمس بأى خيال يطّف من بعيد؛ حتى قبل اقترابه من ضوء الكلوب الشاحب الذى يفرش قعدتنا؛ ويبدأ لعب لعبته...

مرة واحدة وجدناه يفزّ فجأة، وفى جلبتين تسمّر وراء الولد البندرى عونى؛ ابن أم خميس؛الذى كان يقطع بقعة الضوء الشاحب - هذه المرة - خلف أخته التى سلبت عقولنا بضفائرها الذهبية وملابسها المرفوعة

فوق الركبة، احتضنه بذراعيه، ولف ذراعيه حوله بعزم قوته بعد أن شبكهما من أمام، وبدأ يروح ويجىء بنصفه الأسفل إلى الأمام والخلف فى حركات قبيحة. . !

وحدث ما حدث: فجأة - أيضا - راح الولد البندرى إلى الأمام فى انحناءه كبيرة حتى حسبناه سيقع، ووقع فعلا بعد أن شقلب صاحبنا تحته، ولم نشاهدهما إلا وهما يتدحرجان على الأرض وسط عفرة ترابية جامدة، كان الولد البندرى قد تخلّص من الذراعين الملفوفين حول وسطه، ثم وقف مثل ديك نفش ريشه وبرك على صاحبنا؛ اعتلاه ونزل عليه ضرب موت: لكمات، وشلاليت، وخُذ فى البطن والرأس. . يشبع من الضرب فينهض ويثب لأعلى فاردا إحدى قدميه ورجيله على طولهما، وينزلل عليه مع صرخات متتابعة: «ها. . هو. .» وهات يا ضرب، ورزع، وزغد. . أول مرة يقف واحد لصاحبنا ويغلبه ويشويه

ويلفه ويكوره مثل كرة ويلـعب به. . تحولت عيوننا إلى أنصاف الأرغـفة وبداخلها الـلحم، وفى دقيقـة واحدة هجمنا عـليها وراحت إلى حنوكنا المـفتوحـة، ووجدنا أنفـسنا نلف حـولهمـا فى حلقـة واسعـة ونهـتف من أعماقـنا: «إدِّى. . اديلَّه» وصاحبنا يجعـر بأعلى صوته مثل ثور يخور، وكلما حاول القيام يباغته الولد البندرى بضربة يد قوية يتبعها بأخـرى مفاجئة فيروح الآخر على ظهره، يسـحبـه من قبتّـه ليقف على قـدميـه؛ وما أن يصلب طوله - متـرنحا - حتى يشوطه البندرى بـقدمه بكل قـوته من الخلف لينكفىء صـاحـبنا على وجهـه، بعدها وجدنا الولد البندرى ابن أم خـميس ينحنى عليه ويطّوقه بذراعيه من وسطه ويرفعه لأعلى ويدور به حول نفسه فـى سرعة رهيبة، ثـم يشق حلقتنا؛ وهو يلف به أيضا ويزّمه في جدار قريب ثم يتـركه يسقط على وجهه دون حـركة. . وجـدنا أنفسنا نمرّس ذراعـيه وحناجـرنا تهتف بـاسمه ونطالبـه بأن يتربع على رأس حلقـتنا فى

بقـعـة الضـوء، ويا هناه. . إلا أنه انســحب فى هدوء
خلف أخته التى كانت الدمـوع تسّح من عينيها؛ وتركنا
فى حيرة: صاحبنا سفّ التـراب وأصبح مثل خرقة باليه
لا يصد ولا يرد، وأنشأو الجريد والـسياط التى أعددناها
طار نصفها، وزفة مولد النبى على الأبواب. . !!



# عين بصيرة (أينما تكونوا):

## ١ - فى بروج



على صرختها المكتومة هبّ من نومه مفزوعاً، وعندما نظر إليها ارتسمت على شفتيه بسمة سعادة وهو يسمعها؛ على الجانب الآخر من السرير؛ تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم. . قال لها وهو يلاغيها إن العشاء الدسم كبس على نفسها فعاودتها الكوابيس الثقيلة بعقاربها وثعابينها وبسم الله الرحمن الرحيم، ولما وضعت يدها على فمها مشيرة له بالأخرى إلى الراقد بينهما، التفت إليه فى سكونه ودقق فى وجهه - هلّة القمر - وانشرح صدره وهو يقرأ المعوذتين ثم يسمّى ويميل إليه ويرفعه بين يديه ويضمه إلى صدره فى حنان أشعره أنه أسعد مخلوق فى الدنيا، وفى اللحظة نفسها اتسعت بسمته وهو يرى يد الأم تروح إلى خشب السرير وتتمتم بكلام لم يسمعه ويعرفه حق المعرفة. .

فزع فزعة خفيفة فى الأم المرعوبة التى ماتزال تتلفت حولها وتنزل من فوق السرير وترفع المواعين وتنظر تحتها ثم تضعها مكانها، والغارقة فى خوفها وهى

تكّز على شـفتهـا السفلى وترفع فـتحة أنفـها الشـمال كاسرة على عـينها التى فوق الفتحـة المرفوعة وتمد يدها مسمـية بسم الله لتعيـد الوليد إلى حضنهـا، وتؤكد ما أكدت عليه الليلة الفائتة:

- إحسان يا حاج . . اسمه إحسان . .

هكذا أسمت ما أعطاهمـا الله، وأكّدت على الداية وهى تغـمزها بالمعلوم فـى يدها، والأخرى تسـتحـسن الفكرة وتهزه فى الغـربال وأختهـا الصغيـرة تدق الهون بجوار رأسـه محدثاً رنيناً طويلاً متـداخلاً، وأن المولود بنت اسـمهـا إحسـان هكذا أشاعـوا، ولحـبك الفكرة شـبكت ترمـسة ذهـبيـة فى حلمـة كل أذن من أذنيـه الصغيرتين وشحتت عليه من سبع عتبات . .

هز رأسه ليـريحها وتعـدى الليلة، وبعد أن استـقر المولود فى يدها أشـار إلى حمـامتـه؛ التى هى مجـرد علامة صغيرة؛ النائمة بين الفخذين الحمراوين، فعاجلته

برد قاطع يؤكد تمسكها بما فى رأسها:

– على سبع بنات يا حاج، والعين فلقت الحجر..

وها هى كل يوم تفزع من نومها وتفزعه وتعيد وتزيد له عن كوابيسها التى تشغى بعقارب تسد عليها طريقها كلما وضعت جنبها على السرير وغفلت عينها، أمه؛ الحاجة الكبيرة؛ ذات نفسها استمعت معها إلى الحلبية ضاربة الودع وهى تؤكد كلامها.. ومع إيمانه أن الأعمار بيد الله ولو كان ابن آدم فى بروج مشيّدة، إلا أن كوابيسها التى تعيدها وتزيدها تشقلب كيانه كل ليلة عندما تبدأ فزعاتها، وكل مرة يكرر لها أن المكتوب مكتوب..

وها هى تركب رأسها، وتضعه فى قمقم: سقفوا المقعد بالفورمايكا وأحكموا إغلاق شبّاكه الوحيد بزجاج وسلك شفاف لا تدخل منه إبرة، حتى أصبح على سنجة عشرة، وها هو إحسان فى مملكته وعالمه: جليس

يجالســه النهار ويقــوم على حراســته بالليل، أمــا الدنيا وأحوالها فيمكن اختصــارها وتقديمها له فى مقعده أعلى الدار. جابوا له سيّدنا يحـفظه القرآن، والأستاذ يفك له الخط ويعلّمــه الحســاب ولزوم مــا يلزم، وها هو الولد يفتح الله عليه فيـقرأ ويكتب ويرسم، خطه ما شاء الله ورسمه الخالق الناطق..

وها هو الأب اعــتاد دخــوله البيت فـيلمح الأم فى قعدتها تروح إلى الأمام والخلف وأمامها برطمان شفاف بداخله عقرب، وهى تنوح وتبُّك الدم: «أمانة يا عقرب البين، أبعد سُمِّك عن حبة العين».. وكل ساعة تدخل داخلة وتنفض أمــامها الــورقة الملفوفــة التى تشيلــها فى كُمــها، وعندما تستـقر بقايا العقــرب المسحوق أمامــها تكمل ســحقــها بمداســها، وتزيــد للداخلة عطاياها من فريك ولبن رائب وزبدة وجبن قريش.

وها هى ذات صبــاح تزّم باب المقعد خلفــها وعلى

يدها صينيـة فوقهـا الإفطار، ولما لم يقم إليهـا الحارس اطمـأنت إلى ضناها المضجع فـوق سريره ويده اليـمنى الراقدة على الورق تقبـض على قلم من الأقلام الملونة المبعثـرة بجواره. . وبلمحة واحـدة إلى ضناها صرخت صرخة مـشروخة؛ هبَّ لها الحارس النائم على كـرسيه بجوار السـرير والتجم وهو يراها أمامه جـاحظة العينين مرمـية بنصفـها الأعلى على السرير؛ بجـوارها وليدها وعينها على العقـرب المرسوم الخالق الناطق على الورقة أسـفل يد الولد الزرقـاء فى لون النيلة، وظل الحـارس يصرخ فـزعا وهو يرى العقرب يـتحرك بالفعل ويتـجه أيضاً نحو يد الأم المتسمرة هى الأخرى بجوار ابنها. .



# ٢- السّر.. وأخفى



**بقللة** العكارة فى قعر الترعة على يمينه طنّت فى أذنيه كأنه يغرف من جردل ويصبّ فى فتحة قُلّه ترتفع بقللتها مع زيادة تدفق الماء إلى جوفها. . توّقف عن الجرى المتمثل فى نطّات متتالية ومشط قدمه الشمال يضرب فى كعب قدمه اليمين، مثل غراب نوحى يتقافز على السكة وعرقه مرقه، ودقات قلبه طبل بلدى يدق فى رأسه، والخوف هو هو، كأن الثعبان وهو يدور على عقصة ذيله فاتحاً دَرَكَته قد ارتمى عليه بالفعل ونهشه بدلاً من حويه وإعطائه الإذن، إذ لم يشعر بنفسه والحاوى يقرّب منه ويهم بلف الثعبان حول رقبته ليقرصه فى أذنه، فما أن دقق فى رأس الثعبان إلا وأرعبه ضوء العينين المشع واللسان المشروخ خارج الفم؛ والذى يتراقص مثل ذيلى برصين انقطعا للتّو؛ فأطلق ساقيه للريح واستمر على نطّاته المتتالية كأنّه يحجل حتى توقف لينظر خلفه جهة نجعهم، حتى ضرب صوت البقللة فى رأسه فتوقف مكانه كأنه متسمر، ومن

سخونة التراب يبّدل قدميه الحافيتين صعوداً وهبوطاً، وبصره على الفقّاعات التى تبقلل هنا وهناك . .

سمّى باسم الله ومن شرّ حاسد إذا حسد؛ وهو يرى حافة ظهره اللامعة الضاربة بالزرقة تشق العكارة، ويضرب بذيله مرة واحدة ويميل جهة حافة الترعة ثم يغطس محدثاً بقللات وفقاعات، أخذته نشوة الفرح وراح مخه إلى طاجن صيّادية بالفريك وعشوة يهيص فيها البيت كله، وها هو يخلع جلبابه وفانلته وسرواله ويطُّب فى الترعة كما ولدته أمه . .

تركه أمامه يبلبص ويقِّب ويغطس كما يحب، ومن خلفه تماماً بدأ يقطع جواليص الطين ويضعها على استقامة في عرض الترعة، بجانب بعضها وفوق بعضها، حتى سدّ سرسوب العكارة القادم ناحيته، وصعد - فى خفة بعد أن تلفت يميناً ويساراً - إلى ظهر الترعة، ومشى ست أو سبع خطوات فى لهلبة التراب

وهو يبــذّل قدميــه فى سرعــة، ثم نزل وبدأ يســد سداً ثانياً . . بعدها دعك كفيه فى بعضها وكوّرهما على هيئة بوق ونفخ فــيهمــا، ثم وجد نفــسه يصفّق تصــفيــقتين أحدثتا صوتاً وآلمتا كفّيه، فها هو قد زنقه فى خانة اليّك ولن يتــفلفص منه، وهَمّ بأن يرفع صــوته مغنيــاً: «بين سدّين ومــيّه»، ولصق كفّيــه مفتــوحين بجوار بعضهــما على هيئة مــغرفة، واقترب من أحد الســدّين ومال عليه وبدأ ينزح العكارة ويلقى بهــا خارج منطقــة السدّين . . مع همّتــه وانهمــاكه بدأت الميــاه العكرة تتناقص وبانت أرضية الترعة، وبدأت قدماه تظهران وهو يرفع إحداهما من الوحل وينزلــها مــتنــقــلاً وراء مشــط بلطى هنا أو قرموط صغير هناك . . وكلما مسك خيراً رماه على ظهر الترعــة غافــلاً عن نطات الصيــد من سخــونة التراب، وبصره كله على الصــيد السمين حتى يزنقــه فى الهيش والحشــيش الكثيف على جــانبى الترعــة . . تنّمس وهو ينحنى إلى خُلبة حــشيش تمايلت أمامه فجــأة فعرف أنه

يختبىء بينها، وانقضّ بيديه وبعزم ما عنده ليقبض عليه، وليرفعه بين يديه، وفجأة صرخ وهو يرى نفس العينين الزجاجيتين مسلطتين نحوه بضوئهما المشِّع؛ واللسان المشروخ خارج الفم يتراقص مثل ذيلى برصين انقطعا للتّو، وقبل أن تنتهى صرختـه أو تترك يداه هذا الطويل اللامع الضارب بالزرقة؛ كان ما بيديه قد ارتمى عليه بالفعل؛ وشعر بسكين حامية تشق حلمة أذنه، ويداه متسمرتان على ما بينهما والجسد كله قد ضربته الزرقة، وتخشّب وهو يسقط من طوله فى ما تبقى من عكارة فى قاع الترعة..



# ٣- كَرَمُ الجعافـرة



وما أن جلجل صــوت مشــروخ حتى وجــد نفســه مــســحــوبا إليــه مع خــوف لا يدرى مــصــدرة، وزاد الإنقباض والخوف كأنه مشدود بحمل ثقيل إلى حافة بئر يشغى بالحــيّات والثعابين والعقــارب، مع مطة الصوت الغريب الذى ذكّره بالعم عبدالرحيم القناوى وهو ينادى على الترمس فى نجع الجعافــرة.. يندفع فى اتجاهه بعزم ما عنده كأنه يناديه؛ رغم عدم معــرفته صاحب الصوت أو مــا ينادى عليــه؛ حــتى أنه أخــذ السلم فى جلبــتين اثنتين: فى قفــزة كان على بسطة السلم الوسطى، وفى الثــانيــة كاد يصطدم بــه أمام بوابة البــيت، وجــده فى مواجهتــه تماما كأنهما - معا - فى انتظار بعــضهما فى المكان نفسه وفى الثانية نفسها..!!

المفاجأة قبضت صــدره أكثر فأحس بقلبه يندلق بين قدميــه، وتسمّر وكاد يسقط من طــوله، وأصبح المتأمل لهما يتعجب من وقفتهما متخشبين مثل تمثالين متماثلين

تمام التماثل فى الطول والعرض واللون والكَسْم والرسم والملامح وحتى الجلباب الأبيض واسع الأكمام الذى يستر كل واحد منهما والشال الأبيض الملفوف حول كل رأس وطرف كل شال على القرن مائل، والإندهاشة التى جعلتهما يثبتان على حركة واحدة اتسعت معها العين السليمة لكل واحد منهما وتكورت بدلاً من استطالتها المسحوبة؛ مع زيادة بياضها بدرجة كبيرة وتقوس الحواجب وانفتاح فم كل واحد على آخره لتنكشف داخل كل فتحة فم مغارة هتماء بدون حتى سِنَّة واحدة خربة نخر فيها السوس. . .

فى وقفته المدهوشة؛ والتى يحسب الناظر إليها أنه متحجر؛ خُيِّل إليه أنه ينظر إلى نفسه وهو يميل ويكاد يقترب أنفه فى ميلته على الحمار؛ الواقف بينهما بحمله؛ من أنف المقابل له وعينه السليمة تبص فى مغارة صاحبه الهتماء، فأحس بجردل عكارة مثلجة

يغرقه فيسبح فى عرقه وهو يستعيد حادثة أسنانه التى طارت ذات عصرية بعد حش خُلبة برسيم؛ عصريتها فوجىء بيده التى تقبض على خُلبة البرسيم ماسكة أيضا - ضمن ما هى قابضة عليه نصف حيَّةٍ لا تزال تتمايل ذات اليمين وذات الشمال ولسانها المشقوق من الإمام يتراقص خارج فمها، ومع كل حركة تميل ناحيته كأنها تهم بدخول عبِّه، وجد نفسه يطّوح ما فى يده بعزم ما عنده ويجرى فى الإتجاه المعاكس، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يتشقلب على جذر رقبته ويبِّك الدم من فمه على حجر كبير مثل شاهد قبر فوق رأس غيطهم؛ والتراب المعجون بالدم يغطى وجهه من أوله إلى آخره.

داخوا فى تطبيبه السبع دوخات حتى تخف الحُمّى التى مسكته من ساعتها، وظل جسده يشع الصهد رغم دعكه بالخل ولبخة الثوم، والحرارة هى هى تكاد تَسْلى الجسد الراقد والغائب فى الملكوت..

جاء مغربى وفتح الكتاب ولم ينفع، لكن مع كسر قُلَّة بجانبه وضرب عيارين من بندقية بروحين بجانب رأسه تماما أحدثا صفيراً فى الأذن وحُفرة عميقة فى أرضية المقعد، والزيطة والصياح «حيّة . . ثعبان» وجدوه ينفض الغطاء عن جسده ويجرى مع الصياح بآخر عزم عنده ويسبقهم فى الجرى وكعبه يضرب مؤخرته حتى غاب عن أنظارهم وهم يحمدون الله أن نجّاه من هذا الدور . . ومع ذلك ظلت الحيّة مقطوعة النصف تفزّعه فى نومه فيهب مذعوراً وينظر إلى أصبعة الوسطى مستعيذاً بالله من الشيطان الرجيم، مع أنه دهس حيّات وضرب عشرات الثعابين واصطاد العقارب وحبسها فى برطمانات مربّى فارغة حتى نشفت على عودها . .

وشوشت له الودع الحلبية بنت الحلبى، وقالت له عن حَبْل يتراقص فى طريقة فى آخره عقدة، وعقدته نهايتها تتفرع فرعين كأنها فرقلة بسوطين. وقال فى

نفسه هى الحية بنت اللئيمة بلسانها الذى يتراقص خارج الفم، رغم أن المغربى طمـأنه بأن الثعبـان لا يقرص إلا بإذن ربه. . ومع تكـرار الحلم هّج من النجع وحـيّـاته وتعابينه وعقـاربه إلى حجرة ضيقة محكـمة اكتراها فى الدور الثانى فـى بيت على البحر المالح، أصـبح يكنس حجرته ويرشها كل يوم ولا ينام الليل إلا بعد أن يقلب كل شىء ويفتش كـل شيىء، وعندما تدخله الطـمأنينة يغلق بابه عليـه ويروح فى النوم بعد أن يـضبط مـؤشر الراديو على إذاعة القرآن حتىَ تروح الأشباح ولا تخيفه الأحـلام المكررة والمتكررة التى يحس مـعـهـا بأنه نازل لسابع أرض. . !!

فى وقفته المدهوشة أمـام قرينه الواقف أمامه والذى يفصل بينهمـا الحمار بما عليه من جنبتين كبـيرتين يظهر منهما سباط البلح الأصفر فاقع اللون مثل بطيخة صفراء فاوى، مال عليـه وهو ينظر له نفس النظرة، وسأله عن

السعر وهو يضرب يده داخل الجنبة الملاصقة له، وما أن دخلت يده حتى كانت النغزة واللسعة، افتكرها «سلاَّية» جريد أو شوكة عـاقول، وسحب يده والألم يتزايد وهو ينظرها خـارج الجنبـة، وزاد تحجّـره وهو يراها غارسـة نابيها فى إصبـعة الوسطى وتتأرجح فى الهواء ثم تلتف حول مـعصـمه، مـرقطة تميل إلى الإخضـرار نصفـها محشوش من أسفل وتضغط على يده بعزم ما عندها.. مع الآهة التى تخرج بـالعافية يـسأله ولسانه يتـمشكك وهو يزغـر لصـاحب الطول والعـرض والكسم والرسم الواقف أمامه:

– أى الدواهى رمتك علينا يا جلاّب المصائب؟!!

وتزداد بحلقـة الرجـل المقـابل وهو يرمي عـصـاه ويشمّر ذيل جلبابه الواسع ويهم بالجرى:

– من كْرم الجعافِرة يا خال..

وما أن يسمعها حتى يزداد تخشبه وتسقط رأسه فوق الجنبة الملاصقة ويقع - متخشباً - على الأرض. .

❖ ❖ ❖

# عين بريئة ( الذى عاد من غربته )



**يرقُمهم** صاحبنا فى قعدته أمام المُوردة من اصطباحة ربنا وحتى فى عزّ القيّالة إلى أن تلّيل الدنيا؛ واحدة من عينيه نصف مفتوحة وعين مغمضة، وإحدى يديه تقبض على غابة الجوزة التى ينتهى أحد طرفيها فى فمه، واليد الأخرى تصفّ بالماشة جمرات النار التى تصهلل وتتوهج حتى تشتعل مع شَدَة النَفَس الذى يستطيل مع الشّد ويصاحبه ارتفاع صدره إلى الأمام وللأعلى معاً. . وقتها تتكور عيناه وتجحظان مثل خرزتين كبيرتين: عينه نصف المفتوحة والأخرى المغمضة التى تنفتح هى الأخرى وتتكور وتجحظ مع شَدّة النَفَس وارتفاع الصدر للأمام وللأعلى معاً فتظهر غابة شرايين حمراء رفيعة متقاطعة نائمة فى بياض العينين، ويشّوح لامرأته التى تعيد وتزيد فى الكلام، يأمرها أن تضع لسانها فى بقها وتفضها من سيرة الفُرن البلدى الذى تقول عنه ونار جهنم التى تنفتح معه، ويحلف لها أن الطوابير ستقف

قدّام مشروعه حتى السكة الجديدة. .

وهم يتلكأون فى الطالعة والنازلة أمام حيطانه الطالعة كلما شرّقوا أو غرّبوا، وتصبح الموردة من الفجرية مثل سوق جمعة: غسيل هدوم ومواعين وحتي تسبيح غنم ومعيز وحمير، ومن تحت لتحت ترقمه عيون مشتاقة وعيون تحسد وعيون تتمنى ربع العز الذى يغرقه، وهو يعرف تمام المعرفة ما يدور وما تقوله العيون وأنها تلفه وتغسله ولا تتركه فى حالة منذ أن رجع من غربته واستقعد فى أجعصها أرض فى سُرَّة البلد بعد أن ضرب سعرها فى السماء. . من يومها أصبح حديث البلد والسبع عزب والرائح والجاى، وزادت الحكاية وتشعبت منذ أن جاء بالطوابين والبنّائين والفرّانين والنجارين والحدادين والسباكين، من ساعتها جرت الرِجْل على السكة الجديدة وعمرت المورُدة بالخليقة أمام أرضه دوناً عن جسر الترعة الممتد الذى يمر فى ريح

البلد، وهاصت الدنيا هيصة لم تعرفها من قبل: نصبة شاى على الطرف المقابل للمُوردة، بجانبها قفص جريد فوقه أرغفة وجبنة قريش وحلاوة طحينية وطعمية، حتى أحد المزينين وضع عدته ووجد فى ظل نخلة قريبة مكاناً للتصليح للرجال والشباب والأولاد الذين داسوا المكان ومشت أرجلهم عليه. .من قعدته يشد النَفَس فوق الدكة؛ عينه على البنات وهن ينَّعمن كعوبهن بطوبة حمراء أو شقفة مستوية، وضحكهن يعلو، حتى التى ظهرها له تلتفت فجأة وتخطف نظرة وهى تخبط بيديها على التى بجانبها وعينها لا تخطئه فى قعدته، ورغم أن همسهن على المُورَدة لا يصله: فهو يعرف أقاويلهن واللّت العجن فى سيرته فى الطالعة والنازلة، يقيسونه بسنوات غربته ويخمّنون ويضربون الرهانات عن خميرته الراقد عليها بعد أن كان يامولاى كما خلقتني، يحسبونها بالسنوات والشهور والأيام ويضربونها فى

أرقـام تخـتلف من عـارف إلى مُسـتـعـرف، ويدللون بشواهد تخـرم العين: سيارته المركـونة أمام بابه حكاية وحـدها؛ يرجع بهـا «مـارش دير» فـيـرتفع صـوتهـا «إحذر. . السيارة عائدة إلى الخلف» يقولون جاءته هدية من أميرة خليـجية، وإذا كانت السيـارة هدية قس عليها ما يرقـد عليه من رُزم وأكـوام مستّـفة، وعندمـا يسمع الأرقام المتـضاربة يقـبّل باطن يده وظهرها ويحـمد الله على الصحة والستر ويستـعيذ من عيون الخلق ومن شر حاسد إذا حسـد، ولا ينسى مع كل عين يلاحظ غسلها له أو سلام عابر يرُمى جهته أن يمـيل بجسده جهة مسند الدِّكة، ويظل يميل حتى يلامس خشـبها بإصبع من يده القابضة على الجوزة، ولا يتـرك خنصره الخشب إلا بعد أن يعـدل الفـائت وجهـه أو يمر رامى السـلام أو يرجع بصـر راميـة عينهـا عنه؛ يكون وقـتئـذ قد ردّ السـلام خطفا، حتى حفظ الناس خطفه رد السلام بآلية؛ هكذا:

- «سلام تركاتو».

إذ من أين يأتى صاحبنا بالوقت أو الجهد الذى ينّغم فيه بين لحظة وأخرى رد السلام كاملا: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»؟!!، وبخاصة أن بين الرد والرد ربما أقل من شَدَّةَ نَفَس، حتى أنه يضطر فى أحايين كثيرة إلى قطع شَدَة النَفَس ورد السلام بطريقته التلقائية «سلام تركاتو» التى أصبحت محفوظة لدى الخلق الذين انقطعوا للكلام فى سيرته وخطف أرجلهم جهة السكة الجديدة تاركين تقييلهم فوق المصاطب أمام بيوتهم كل عصرية حتى أصبحت كلاب البلد تنعم بالرقدة فوقها فاردة أجسادها مستمتعة بالرطوبة وبلمسة البلل الخفيف الناتج عن رشها بالمياه استعداداً للعب السيجة؛ ومما جعل حُفر السيجة فوق المصاطب تمتلىء بتراب جلبه الصغار أو بقُراد الكلاب النائمة.. كذلك لم تعد النساء تجلسن أسفل المصاطب تحت أقدام أزواجهن مشغولات

بإعـداد الشـاي على راكيـة النار، وكل زوجـة تحّـمس زوجها بنظرات مـحفّزة على الفوز فى دور السـيجة أو تلت وتعجـن لهؤلاء الذين فردوا أجـسادهم ووضـعوا أيديهم تحت رؤوسهم وأحرمـتهم فوق وجوههم، وكل زوجة تجـيب الكلام من هنا وهناك حتى يـأخذ سلطان النوم الرّجال ويريحهم قليلا فى عالم الملكوت..

ذات ضُحى فـاجأ صـاحبنا - أيضـا - البلد بزيطة وطبـل وزمـــر وورق ملّـون يتم توزيـعـــه علـى المارة ومـيكروفـون يلف داير الناحـية مـعلناً عـن محـلات «كاليمارى» لصاحبها صاحبنا، وصاحبنا مجعوص على دكّـته أمـام المورُدة فى ثوبه الشاهـى وطاقيـته مـقلوظة الأركـان ولاسته الحرير اللامـعـة المدلاة أطرافهـا على صدره، وأمامه براح مرشـوش عليه نشارة خشب ملونة رسمـوا بها على الأرض الزخارف وكـتبوا بها كـتابة لا يعرفهـا ولا يعرفونها، وأكـوام سمك كثيرة مـرصوصة

على خشب؛ يسحبونها من ثلاجة العربة الكبيرة: قراميط، وبلطى، وثعابين سمك، وأسماك غريبة ملونة حمراد وصفراء ومنقّطة وأسماك مجعلصة، وسمك له منقار، ومحار، وودع، وحاجات لها أطراف كثيرة، وأخرى هلامية مثل فِشّة الجاموسة. . .

والأولاد فى أرجل العمال، يضعون أيديهم على أرضية صندوق السيارة الخلفي ويلحسونها بألسنتهم مستطعمين برودتها. .

عصرية ذلك اليوم أندبّت خناقة لرب السماء، علا صوت المترفز ولعبت أصابعه المتشنجة فى وجه صاحبنا صائحاً ومقسما بالله العظيم أنه أكبر حرامى، وحلف بالطلاق بالثلاثة أنه سيقدم للنقطة - خبط لزق من غير مرور على العُمدة - ضده بلاغ سرقة، ويقول إنه طلب منه ثلاثين جنيها فى مشطين بلطى!! . . وغابت شمس اليوم عن عشر خناقات متتالية تخللها زعيق وطلاقات ومَسْك شوم. .

وفى اليـوم التـالى قـاربت الشـمس المغـيب وهبّ نامـوس العصـرية فى أفواج فـوق رؤوس الناس، ولم يستفتح إلا بطلـب لدكتور الوحدة الصحية وجـماعته، وعينك عليها . .

فى اليوم الثالث اصطادوا السـمك وجابوه اليه، ولما فزع فيهم انقـطعت الرِجْل من عليه تماما وخلت الموُردة حتى من البنات اللاتى كن يجلين كعوبهن بحكّها بشقفة أو بطوبة حـمراء، وأصبـحت مدخنتـه لا تطشطش الا على طواجن بيتـه حتى زهق أولاده وأم أولاده وانسدت نفـوسـهم عن أكل السـمك المـشـوى والمقلى والمخلل والمملح والمشوّح، وغاظتهم أكوام السمك المتلتل وفواتير الكهرباء وطلبات الثلج ويوميات العمال . . . و . . .

ذات صباح فـوجئت البلدة بهرج ومرج وتغـييرات كبيرة، وعربات محـملة بأجولة دقيق، وصاحبنا بعد أن خلع طاقيته مدورة الأركـان ورمى لاسته اللامعة ها هو

قـد وضع يده فى أيدي الصنايعـية فى العـجن والقطع وتلقيم الفـرن حتى خـروج الأرغفة مـفقّشـة ومقمّـعة ومنفوخة على الآخر. . .

وزادت الرِجْل وكان الطابور يتزايد كلما نقص حتى وصل آخره السكة الجديدة عند مدخل البلد. .

❖ ❖ ❖

١

# عين حزينة: عز الشمس..



**زادت** دقـات قلبى، وارتفـعت بشدة؛ حـتى كـأنى أسمعها، وهزّنى الفرح عندما أخذتنى أمى معها المدينة، وفرحت أكثر وهى تعطينى جنيهـا صحيحا وتتركنى فى شقة خـالى مع أولاده وتخرج معه لزيارة قـريبنا الراقد فى قصر العينى، وأن «عيدية» العـيد سترُخ على جيبى من خالى ومن كل مكان. .

قلت لنفـسى أقعـد فى البلكونة وأبُص على الدنيـا والكورنيش وزحمة التاكـسيات، والأتوبيسات، والرايح والجاى، والنيل وقلوع المراكب، والرقّـاصات. . وألعب مع أولاد خالى ومع سعدية بنت عمّ حسن المسحراتى - جارنا فى البلد - التى كانت تحفظ القرآن معنا فى كتّاب الشيخ عبدالجّيد «الشهـير بالطبلاوى» وتعمل فى مقاومة دورة القطن وأخـذها خـالي مـعه عنـد زيارته البلد من شهور لتبقى؛ كما قالوا لنا؛ و«نَسَة» لأولاده فى القاهرة أم الدنيا. وما أن انقفل الـباب وراء أمى وخالى، حتى خـرجت زوجـة خالى من الداخـل مبـرطمـة «وبوزها

شيرين» وأشارت إلى داخل الشقة قائلة:

- «الحمّام يا سعدية»..

وقبل أن تكمل زوجة خالى أوامرها فى عنطظة وعنجهية؛ كانت سعدية تخفض وجهها وتدارى عينيها من الإلتقاء بعينى، وتجيبها فى انكسار قبل أن تجرى مسرعة إلى الداخل:

- حاضر ياستى.

مشيت إلى الداخل وراء سعدية، وجدتها - وأنا فى غاية الكسوف - جالسة على ركبتيها وساحبة فُرشة خشب، وهات يادعك فى عين الحمّام..!!

زعلت فى نفسى على سعدية، وفى عز زعلى جرحرتنى زوجة خالي من ياقة جلابيتى الجديدة بعيدا عن سعدية وعن أولاد خالى الذين أشارت لهم بالإبتعاد عنى وعدم اللعب معى.

وقالت لى: «أنت فى المدرسة؟!!»..

قلت لها: «داخل أولى اعدادى». .

ردت من بين أسنانها: «شاطر». . ودسَّتْ يدها فى صدرها وأخــرجت جنيهــا، وطلبت أن أشتــرى لها من البقال - تحت العمارة - صابونة حمّام. .

وحذرتنى من المشى ناحية اليمين أو الشمال، أو أن أعبــر الطريق إلى الكورنيش لأتفرّج على المراكب كــما كانت تفعل «المفعوصة» سعدية عند حضورها من البلد، وقالت بلهجة آمرة: «أطلع فى دقيقة واحدة».

نزلت الســلم فى جلْبــتين، وذيل جــلابيـــتى فى أسنانى. .

اشتريت الصابونة، وفى دقيقة واحدة - كما طلبت زوجة خالى - كنت أدق باب الشقة.

رفعت زوجــة خالى الصــابونة إلى أســفل فتْحــتى أنفها، وأخذت نَفسا، ومطت شفَتيها ثم ذكرت لى اسم صابون آخر، وطلبت منى أن أغيّرها من البقال وقالت:

«بسرعة» . . رجعت بسرعة وذيل جلابيتى فى أسنانى، وغيّرت الصابونة، وفى أقل من دقيقة كنت وسط صالة الشقة . . مسكَت الصابونة الجديدة فى يدها ورفعتها لثانى مرة أسفل فتحتى أنفها، وكشّرت نفس التكشيرة، ووضعت يدها الثانية فى وسطها، وزامت: «بلا نيلة»!! ومدت الصابونة لى لأغيرها مرة ثالثة بعد أن ذكرت لى اسم صابون آخر.

خجلت من نفسى وأنا أنزل السلم درجة درجة، واحترت، وقلت فى نفسى وأنا حزين: «كيف تتصرف يا ولد؟!!» . . وتمنيت لو أطير مع الريح إلى قريتى حتى أهيّص مع الأولاد بوقفة العيد، ونروح البهنسا، ونسهر هناك حتى الصباح نضرب المدفع ونركب المراجيح . . وصدمتنى الأنوار الملعلعة أمام دكان البقال وضغضت بأسنانى على شفتى وعيناى تصطدمان بالفانوس الكهربى المعلق على باب دكانه، وتغصّبت على نفسي وأنا أمد له الصابونة فى كسوف وخوف،

وقلت له فى خجل وفى صوت خرج بالعافية:

«غيرّها».

بص لى البقـال من فوق إلى تحت، أحســست كأنه يشمّر جـلابيتى ويعرّى جسدى حـتى طوق رقبتى، ثم غـمغم وهو يأخـذها منى باشـفاق: «حـرام والله على الناس دول. . أتعبوك على الآخر فى الأيام المفترجة». .

فرّت الدمعة من عـينى وأنا أمد يدي لآخذ صابونة جديدة - للمرة الرابعة - وخاطرى مكسور. .

وجـدتنى أتسـمّر أمـام باب العـمـارة، وقلت فى نفـسى: «لمـاذا فكّر البـقـال اننى أخـدم فـى بيت خالى. . !!». . وزعلت آخـر زعل، وفكرْت فى نفسى وفى البنت سـعدية: شكْلهـا - هى الأخرى - أحـسن ألف مـرة من أولاد خـالى المبْـوهقين، ومع ذلك نازلة طالعة طول اليوم وحتى آخر الليل، لا تقعد أبدا: هات ياكنس، وهات يـا مـسح، وغـسل، ونشـر، وطبخ،

و«ياستى» و«ياسيـدى» وألف طلب وطلب للبيه وللست وللأولاد «العفاريت»!!

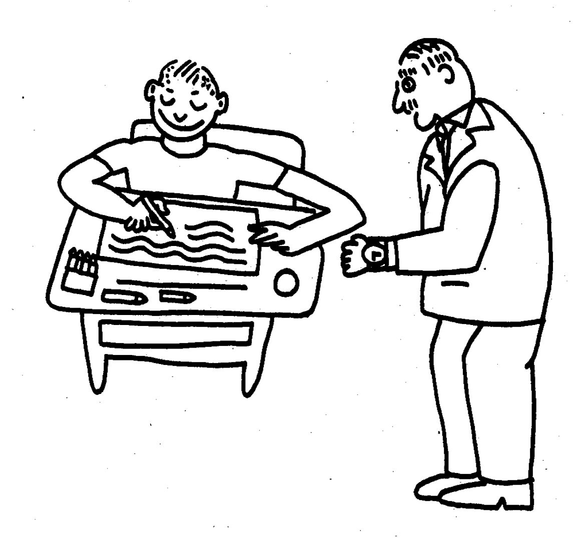
و . . وجدتنى أغـرق فى أفكارى،وراحت يدى إلى جـيبى، وأمـسك الصـابونة الجـديدة فى يدى، نزعت ورقتها ورميتها فى الهواء، ثم قلبتها بين يدى، ورفعتها أسـفل فـتحـتى أنفى - كـمـا فعلت زوجـة خـالى - وأخرجت تنهيده حادة تحرق جنّيا . .

بعدها ضـربت يدى فى جيبى لأطمـئن على الجنيه الذى تركـته لى أمى وهى ذاهـبة مع خـالى إلى قصـر العينى، قـبضت عليـه، ووضعتـه - الجنيه - فى يدى اليـسـرى وأطبـقت علـيـه أصـابعى جـيـدا، وباليـد اليـمنى؛ وبآخـر عـزم؛ طوّحت الصـابونة جـهـة النيل وتابعـتهـا وهى تأخذ منـحنى صاعـدا ثم تتهـاوى فى السقوط فـى مياه النيل، وفى سرعـة - أيضا - أخذت سلم العمـارة فى جلبيـتين لأرمى الجنيه الجـديد لزوجة

خالى وأنزل فى جلبيتين - أيضا - لأنتظر أمى بجانب بوابة العمارة حتى تأتى من زيارة قريبنا فى قصر العينى، وصممت أن أدارى كسوفى وأقبّل يدها حتى توافق على أخذ سعدية معنا ونرجع قريتنا بدون غداء، وستعمل سعدية مع أنفار نقاوة دودة القطن، وأنا معها - فى يوم الاجازة - من طلعة الشمس حتى غروبها، ولن تخيفنا الكرابيج التى تلهب ظهورنا عندما يلمح الخولى معاون الزراعة فى كبسته على الفرقة بين ساعة والثانية، ولا يهمنا حتى لو أكلت جلودنا حرارة الشمس، و«طظ» فى ألف عيدية وعيدية من خالى ومن غيره لو حتى تشترى - العيدية - حصان العمدة أو أغلى مركب من المراكب التى تتبختر فى بحر النيل..



# عين دامعة: صمت البحر وهديره



**للمرة** العاشرة منذ دخوله الفصل؛ يرفع مدرس الرسم يده - ويقرّبها من وجهه - وينظر إلى ساعته، ثم ينظر إلى الولد النحيف مصطفى.. هذه المرة - العاشرة - تعجّب وسأل نفسه متحيراً:

- نصف ساعة طويلة عريضة فاتت، والولد مصطفى لم يرفع يده مشيراً إلى انتهائه من رسم البحر، ولم يرفع إصبعه ويصيح منفعلاً كالعادة:

- أستاذ.. أستاذ.. أنا يا أستاذ..!!

وأعاد الأستاذ النظر إلى مصطفى، الولد - ما شاء الله - شعلة نشاط وحيوية، رغم نحافة جسده التى تكاد تصل إلى درجة الهزال.

غريبة؛ أول مرة لا يسبق الولد فيها زملاءه، وزيادة على ذلك تأخر عن الإنتهاء من رسم الدرس..!.. العادة أنه بمجرد مرور دقائق على بداية الحصة؛ تسمع

طرقعة أصبعه و«أنا يا أستاذ. . أنا يا أستاذ». . والنتيجة: لوحة تشكيلية تتناسق فوقها ألوان معبّرة، وتتقاطع داخلها خطوط حادة وواضحة، لا أثر عليها لكشط أو مسح أو تردد. . حتى أصبحت لوحاته تزّين الفصل والفصول الأخرى فى المدرسة، وتحتل عدة واجهات فى الطرقات، وفى حجرة الناظر، وفى مواجهة الداخل إلى غرفة المدرسين ووصل صيته مديرية التربية والتعليم.

مرة؛ فى زيارة من الزيارات القليلة التى شرّف فيها مدرستنا مدير الإدارة التعليمية؛ توقف المدير أمام لوحة معلّقة على الحائط، وسأل عن الفنان صاحب هذا الرسم المعبِّر هكذا قال متسائلا عن «الفنّان» ووسط زهو حضرة الناظر؛ وانشغال وكيل المدرسة بإحضار مصطفى، ووقوفه ضاربا تعظيم سلام لحضرة المدير؛

واصل المدير كلامه - مشيرا إلى اللوحة - شارحاً كيف أن السد العالى أنقذ بلادنا بالفعل من مـجاعة مؤكدة أو سيول مميتـة: وزادت ابتسامة المدير وإصبعـه يقترب من وجه عبـدالناصر - المرسوم بدقة - بابتـسامته الشـهيرة وشعـره الضارب بالبيـاض على جانبىْ الوجـه المتلألىء فوق المياه؛ عبـر موجة كأنها تتهادى فـوق موجة أخرى تطل منها وجوه الجمـاهير التي يلوّح لها الزعيم، والتى تبادله التحية بهتاف يخرج من الأعماق.

ولما تنبّه المدير إلى وجود مـصطفى؛ الذى كان ثابتاً فى وقفتـه ويده ماتزال مرفوعـة «تعظيم سلام»؛ إنحنى الرجل وطوّقه بيديه، وطبع قبلة على جبينه، وأخرج - من الجيب الداخلى لجاكتته - جنيهاً كاملاً قدّمه له وسط تصفيق الحاضـرين، وكتب بقلمه الأبنوس اسم مصطفى ووضع الورقـة فى جـيبـه وقـال بصوت يملـؤه الفخـر

والإعتزاد:

- هذا الفنان ينتظره مستقبل كبير بإذن الله..

فى اليوم التالى للواقعة؛ وبعدأن اصطف التلاميذ فى طابور الصابح وأدّوا تحية العلم، ارتفع التصفيق تحية لمصطفى، وقدّم له حضرة الناظر ساعة يد قام بنفسه بوضعها على يده الرفيعة، وشبك أبزيمها، وقبّل جبينه ودعى الله أن يحرسه لوالديه وللوطن.

والمفاجأة كانت بعد أسبوع؛ حيث وصلت المدرسة رسالة مسجلة مَن المديرية، بها ثلاث تذاكر سفر إلى أسوان ودعوات استضافة فى فندق كبير لزيارة السد العالى: واحدة للفنان الصغير مصطفى - هكذا مكتوب عليها - والثانية لوالد مصطفى، والتذكرة الثالثة باسم مدرس الرسم الذى تبنّى موهبة مصطفى.

وكانت رحلة جميلة؛ صحب فيها مدرس الرسم -

بعد اعتذار الأب عن عدم السفر- مصطفى وشقيقه الأكبر الذى يشبهه تمام الشبه؛ مع فارق الطول لصالح الشقيق الأكبر.

من يومها وحصة الرسم فى فصل مصطفى لها طعم خاص؛ عند مصطفى وعند مدرس الرسم؛ لكن حصة اليوم - على غير العادة - غير الحصص كلها، فلا مصطفى طرقع بإصبعه «أنا أنا يا أستاذ» ولا حتى حرّك يده ليمسك قلماً أو ينظر إلى لون، مع أن درس اليوم فى غاية السهولة!!

وحارت نظرات الأستاذ بين تلاميذه؛ وأولهم مصطفى؛ وبين عناصر الدرس المكتوبة على السبورة، وراجع الأستاذ العناصر عنصراً بعد عنصر، لا لبس فيها ولا غموض، بل على العكس: واضحة الوضوح كله.. ومع ذلك بدأ؛ مرة ثانية؛ يعيد شرح عناصر

الدرس عنصراً عنصراً: فها هى الشمس، تتوسط السماء، والحر اللافح يجعل العرق يشُرُّ من الأبدان، والماء الذى جعل الله منه كل شىء حىّ، والمراكب والسمك، والشاطىء، ورمل الشاطىء، والشماسى الملونة المغروسة فى الرمال على الشاطىء، و . . . وما أجملها من نزهة على الشاطىء . . .

«صحيح؛ ما أجملها نزهة حتى لو كانت نزهة على الورق!» . .

قال مدرس الرسم ذلك بينه وبين نفسه وهو واقف أمام مصطفى: هذا الولد كتلة الهدوء والحماس وشعلة النشاط والذكاء.

لكن مصطفى لم يرفع يده ويطرقع إصبعه - كعادته - منبهاً: «أستاذ أستاذ. أنا يا أستاذ» ولم يتحرك القلم بين أصابعه النحيلة؛ كأنما غابت عنه الأفكار تماماً، حتى

ظلت ورقة الرسم أمامه كما هى بيضاء!!

ويلاحظ الأستاذ شروده، وينشغل عليه، ويميل عليه مستغرباً، متسائلاً:

- مصطفى!

وينظر مصطفى وكأن أثقال الدنيا فوق رأسه ويجيب مصطفى:

- نعم يا أستاذ.

ويسأله الأستاذ:

- قرأت الدرس يا مصطفى؟

ويرد مصطفى:

- قرأته يا أستاذ.

- وفهمته يا مصطفى؟

- فهمته يا أستاذ.

ويحتار الأستاذ، ويكرر كلامه - مرة ثالثة - عن درس اليوم والبحر، ونسيم البحر، وأمواج البحر، و . . .

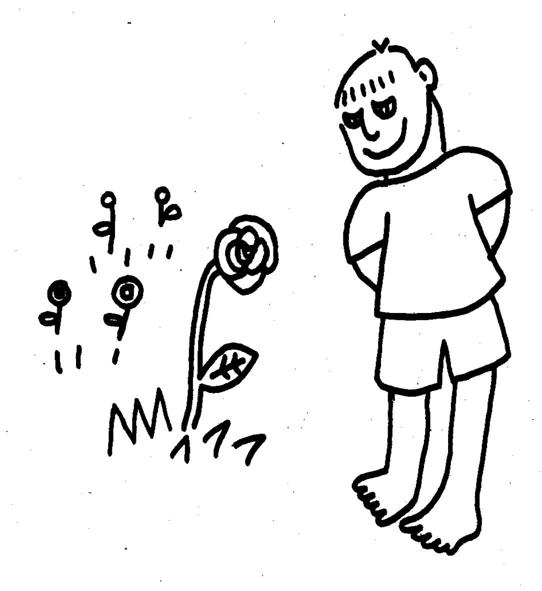
وفجأة انتفض مصطفى كأن الأمواج تتقاذفه، وأحس بطعم الملح يسد طريق الهواء إلى رئتيه. . وقتها حاول جاهداً أن يأخذ نفساً، وصرخ، وتحشرجت أنفاسه، و«أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله». . و. . ولم يشعر بشيء إلا وهو على الشاطيء: رأسه إلى أسفل وأذرع متعددة ممدودة ترفعه من قدميه، والماء يتدفق من فمه على رمل الشاطيء. .

بعدها ندم مصطفى على صرخته التى انفلتت منه وهو يكاد يغرق؛ تلك الصرخة التى أسرع على إثرها أخوه إلى البحر لإنقاذه، أنقذه بالفعل، وطوى الموج الأسود الشقيق المنقذ!!

ومرة واحدة تحـركت الألوان فى يد مصطفى، رسم دوّامـات سوداء، ورسم أمـواجـاً هائجة، ورسم بحـراً متوحشاً أسود فاغراً فاه وهو يلتهم الشقيق الأكبر.

❖ ❖ ❖

# عين حالمة ( صديق الوردة )



**يرى** الولد والده «حـــارس الدار» يحـــرث الأرض ويســقى الزرع، ويعتنى بـالورود الجمـيلة الملونة؛ ذات الرائحة شارحـة القلب؛ يفرح الولد فترتسم الإبتـسامة على الملامح البريئة ويأخذ نفسا عميقا يملأ الصدر ويرفع القـامة فـتأخـذه نشـوة الفرح ويروح رأسـه إلى الوراء قليلا.

يقترب حـتى حافة حوض الزرع الأمـامى، ويتركّز بصره محدداً ملامح وردة متفتحة تختلط الحُمرة الدامية فى بعض أطرافـها ببـياض فـى نصاعـة اللبن الحليب، يفرح الولد كثيراً، وبصره يروح ويجىء مع نحل العسل وهو يـتنـقل من وردة إلـى وردة فى هـدوء وبطء وزّن خفيف ولذيـذ؛ كأنه وشوشة أعواد القـمح فى اهتزازها يميناً ويساراً بفعل نسمة باردة فى قيظ لافح..

يحـفظ الولد مـلامح وردته المتـفتحة الشـامخـة، ويطمئن علـيها فى اليـوم الواحد مرات ومـرات، حتى

بدت الوردة كأنهــا مرسومة تمامــا فى ذهنه بتفاصــيلها: ابتداء من عــودها الرفيع الأخضر الذى يحــملها ويرتفع بها حتى مستوى وجه الولد، مرورا بتماوج ألوان الوردة ووصولاً إلى رائحتها الفوّاحة.

ويحزن الولد كــثيــراً عندما تفزعــه صرخــات أنانية وكلمات قــباحة لأولاد أهل الــدار، وتُبعده الصــرخات عن أحواض الــورد، ويشتد حــزنه عندما يســمع دهس الأعواد الخــضراء وهى تتكسر تحت أقــدام غليظة لاهية تبــرطع وأصوات جــافة تهــشه هش الذباب وتتــحنجل حوله فى دائرة تضيق عليه وتخنقه حتى يسقط مفرفرا.

يعود الــولد؛ مكسور الخاطــر؛ إلى الحجرة الطيــنية المنزوية خلف الدار الكبيرة، إلى دف أمــه وحضن أبيه، وعالمه وأحلامه الكبيرة أن يتملك أبوه بيتا صغيراً يحيطه بالخضرة والورود المتفنجلة، وأن يتفرّج على نحل العسل وهو يحط على الــورود ويمتص الرحــيق وينقل اللقــاح

تماماً كما قال مدرس الفصل فى حصة العلوم.

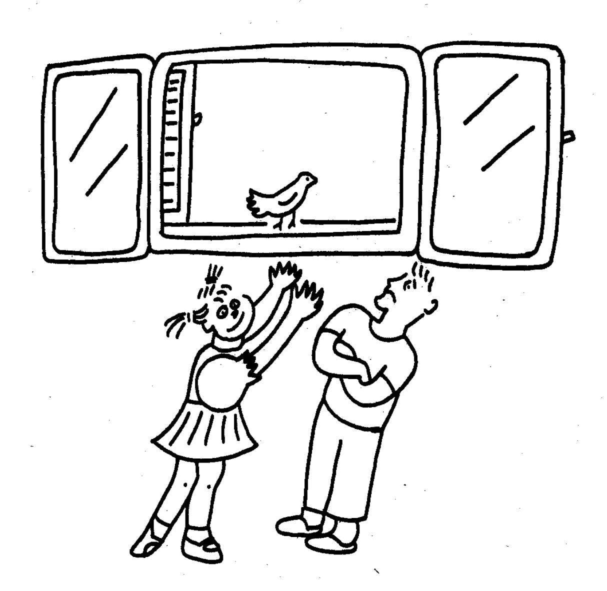
يجلس أمام باب حجرتهم الطينية، يفرش التراب أمامه ويسّوي الأرض الطينية المشبّعة بماء الغسيل، وبمؤخرة قلمه يقسّمها - فى تنسيق جميل - إلى أحواض وخطوط طولية وعرضية، ويشق فيها ترعة ومسقى، يجلب الماء فى علبة سمن فارغة أخذها من داخل الدار ليملأ الترعة التى تشق حقله الصغير، ثم يزرع زرعه ويسقيه، وتطل الشمس عفيّة باسمة محيية غرسه وزرعه، وبعد أن ينتهى يفتح كتابه وعقله فى زرعته، وعيناه تنتظران أن تنشق أرضه عن نبتة خضراء، وقلبه يحدثه أن نحل العسل سيهّل على حقله الصغير، وهو بدوره لن يهش نحل العسل، وسيذيب له قطعة سكر فى الماء، ويضع الماء بعد ذلك فى إناء فى وسط زرعته ليتغذّى النحل فى مواسم الجفاف.

والأب يضحك ويطبطب على الولد الصغير كلما

رأى انشــغاله فى حــقله المحندق الذى تبلــغ مســاحتــه مساحــة بطن قدم، ويحمد الله فى نفــسه أن جنّب ابنه الأولاد الذين يؤذونه ويؤذون خلــق الله دون اعتــبــار، والولد رائح فى انشــغــاله، وفى ذروة انهمــاكــه يحلف لأبيه أن ورود حقله ســتتفنجل قريبــا وستفوح رائحــتها الزكيــة عن بُعد، وســتــجذب هذه الرائحة لزرعــته نحل العسل من كل مكان فى أفواج متتابعة وخلايا خلايا.

❖ ❖ ❖

# عين آملة (هديل اليمام)



**فى** الأيام الأخيرة؛ لاحظت أن اليمام لا يترك شباك حجرة أختى، ولا يقف على شباك حجرتى أنا، مع أن حجرة أختى جهة الشمس والحر، وحجرتى بحرى على الهواء..!

وكلما دخلت حجرة أختى، ترفع اصبعها أمام فمها، وتطل جهة الشُباك، وتهمس فى صوت منخفض:

- أُس س س !!

نظرت فى حجرة أختى، هى هى نفس حجرتى، سريرها مثل سريرى بملاءته المزركشة بألعاب ميكى ماوس، وبطانيتها Lion King المليئة بالأسود الملونة ذات الشوارب، ودولاب الملابس نفسه، حتى المكتب الصغير والكرسى الذى تجلس عليه للمذاكرة.. ما فى حجرتها مثل ما فى حجرتى.. لماذا يقف اليمام فى شباك حجرتها - إذن - ولا يقف فى شباك حجرتى؟!!

قلت لنفسى: أرى ماذا تفعل أختى لليمام حتى يصاحبها، وجلست فى الصالة على كرسى صغير، أمام حجرتها مباشرة، ونظرت..

أختى تقوم من على الكرسى، وتفتح زجاج شباك حجرتها، وتخرج من الحجرة لتدخل المطبخ، تأخذ حفنة أرز، وحفنة قمح، وحفنة عدس، وتخلطه كله فى طبق واحد، وتدخل به حجرتها لتضعه على الحائط فى الشباك المفتوح، وتعود مرة ثانية، ومعها طبق ماء تضعه بجوار طبق الحبوب، بعد ذلك تجلس على كرسيها وأمامها كراسة رسم وعلبة ألوان، وعيناها تتنقلان بين الشباك المفتوح وبين كراسة الرسم..

قلت أدخل الحجرة وانظر ما تفعله أختى، وعلى أطراف أصابعى - وحتى لا يطير اليمام - دخلت..

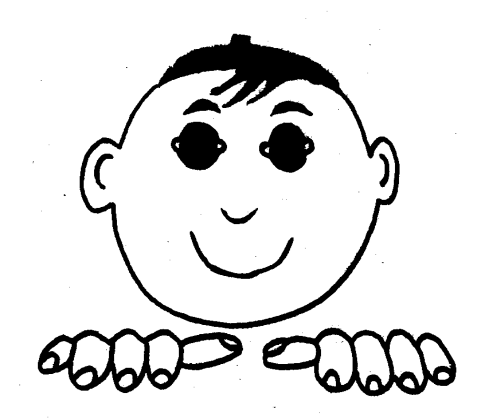
دخلت، هس هس.. كأننى فى جنينة بحق وحقيق..!! الحجرة كلها تزقزق.. شجر.. وزرع..

وحمـام ويمام وعصافـير. . تزقـزق. . ودنيا ثانية غـير الدنيا. .

وجدتها ترسم لوحـة مليئة بالأشجـار، والشبابيك المفتوحة فى المنزل المطل على الأشجار، ويمام كثير يحط على الشـبابيـك المفتـوحة، ويقـفـز داخل الحجـرة. . وسمـعت هديل يمام كثيـر، ولم أعرف هل كان اليـمام الذى رسمته أختى فى اللوحة هو الذى يهدل، أم اليمام الحـقيـقى الذى وجدته يـتقـافز - هو الآخـر - داخل حجرتهـا فى إطمئنان كبير، وهى مندمـجة على الآخر فى الرسَم، وكأنها تهدل معه!



# عين شاكرة: (تمام يا فندم)



2004

**هذا** الصباح؛ ومثل عادته كل صباح؛ ما أن يتنفس الكون حتى يفتح الولد عينيه مبكراً ويرفع رأسه ويجلس فى سريره قبل أن يرِّن جرس المنبه الموضوع فوق «الكومودينو» بجوار السرير.

ومع عادته كل يوم فى الاستيقاظ قبل أن يدق المنبه، فإنه ينظر إليه ويتركه حتى تحين الساعة التى ضبطه عليها - تمام السادسة - يعلو؛ وقتئذٍ؛ صوت المؤذن الصادر من المنّبه:

«الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله..

أشهد...»...

يردد الولد الآذان مع صوت المؤذن المنساب من المنبه..

منذ أيام أعجبه صوت المؤذن الصادر من أحد المنبهات فى محل من محلات وسط البلد، فوجىء بأمه تشترى له واحداً.

ينشرح صدره وهو يسمع الآذان، ويكون - فى التو واللحظة - قد وثب؛ فى خفة ونشاط ملحوظين؛ بقفزة واحدة إلى الأرض، وانتهى من «ترويق» حجرته، ثم وقف باتجاه الصورة المعلقة على الحائط فوق سويره، يشد قامته ويرفع يده اليمنى بالتحية وهو يهمس فى شموخ وجسده يرتعش كعادته عندما يؤدى هذا الواجب:

- صباح الخير يا سيادة العميد أركان حرب إبراهيم الرفاعى..

ينتهى من أداء التحية، ويبدأ برنامجه اليومى: يغتسل، ويتوضأ، ويصلى لله الواحد الأحد، بعدها يفتح نافذة حجرته فتدخل الشمس تتنفس كأنها تستأذنه أن ترمى

خيـوطها الذهبية على جـانب من سريره وبطانيتـه المفرودة عليه المرسوم عـليها الـ Lion King الجالس فى إســترخاء وسط أعشـاب خضراء ويرنو بعين نصف نائمـة إلى غزال بعيد شارد. . يبتـسم وهو يرى عم صابر - حارس العمارة - مشمراً أكمامه عن ساعديه ومعلقا ذيل جلبابه الواسع فى دكة ســرواله؛ ويحرك بيـده خرطوم المياه يميـنا ويساراً وهو يرش أشجار الحـديقة، فتتمـايل الأوراق الخضراء وتنعكس عليها أشعة الشمس الطالعة فتزيدها بهاءً وجمالاً. .

أطمأن إلى الـورقة التى كتـبهـا بالأمس بعد إنتـهاء مراجـعة دروســه ليلقيـها اليـوم فى الإذاعة المدرسـية، أعجبته فوضعها فى حقيبته المدرسية. .

بعـدها يتجـه إلى حجـرة والدته ويطرق بابهـا فى هدوء بالغ؛ يســمع صـوتهـا تناديه من المطبخ، يســرع جهتها محييا. . لكنها تسـبقه كعادتها كل صباح؛ قائلة وابتسامتها تعلو وجهها:

- صباح الخير يا حضرة العميد أركان حرب رفاعى إبراهيم الرفاعى.. يقترب منها ويرفع يده تلقائياً بالتحية العسكرية وهو يشّب على أطراف أصابعه ويمد قامته لأعلى:

- تما ااام يا أفندم..

وعلى الفور تترك الوالدة ما يشغلها كله، تمسح يديها من المياه التى تبللها، وتنحنى إليه وتقبله فوق جبينه، ثم تضمه إلى صدرها فى حنان زائد.. ويسمع صوتها الهامس وهى تنظر إلى البعيد:

- يااااه.. يا ابراهيم يا رفاعى..

وقتها يشعر بالفخر يملأ جوانبه؛ وأمه تتحدث إليه باعتباره كبيراً؛ أكبر من سنِّه، وتذّكره ليلا ونهاراً بوالده العميد أركان حرب إبراهيم الرفاعى..

تناديه باسمه: «يا سيادة العميد أركان حرب» فتضع على أكتافه المهام الجسام التى يفكر - رغم صغر سنه -

فيها كثيراً . . ويتجهان معا؛ مثل عادتهما كل صباح؛ ليقفا أمام الصورة الكبيرة المعلقة فوق الحائط، والتى ترتكز فوق جانبها الأيمن شرائط ميداليات وأوسمة ونياشين . . ويزيد عليها هو كل شهور ميداليات وشهادات تقدير متعددة يحصل عليها من فريق الكاراتيه. بالنادي، وتعلقها والدته بنفسها بجانب أخواتها من ميداليات وأوسمة؛ بعدها يروحان معا - الولد ووالدته - إلى «دولاب الذكريات» كما تطلق أمه عليه ويقلّبان الصور، ويكرران - معا - التعليقات التى كرراها عشرات المرات:

- صورة التفوق فى ضرب النار.

- كأس المركز الأول فى الفروسية.

- وصورة كذا . .

- وصورة كذا . .

ويختتمان تعليقاتهما بلمس نجمة سيناء التى

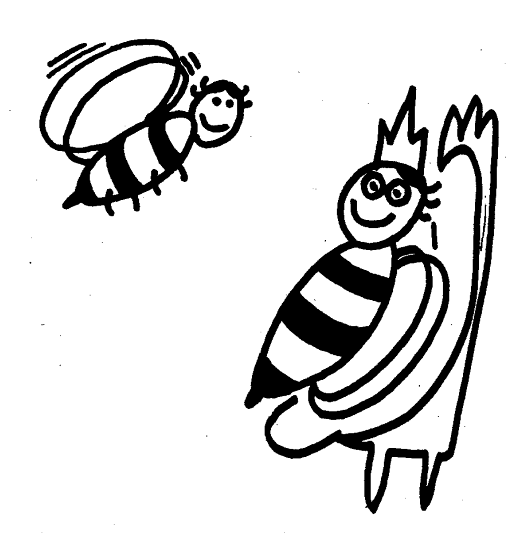
استحقها اسم الشهيد عميد أركان حرب ابراهيم الرفاعى بعـد بلائه بلاءً حـسناً فى «الـفرقـة السـادسـة مـشـاة مـيكانيكى» وهو يثـأر لرفـقاء السـلاح الذين دمـرتهم طائرات العدو وهم يبنون حـوائط الصواريخ على الشط الغـربى للقناة. . يتناول إفطاره مـع والدته، وينظر إلى الساعـة المعلقة فوق الحـائط فينهض مـعلقاً شنطة كُتـبه خلف ظهره، ثم تلـوح له فكرة مفاجـئة: لماذا لا تكون كلمة الإذاعـة المدرسيـة اليوم كلمـة مرتجلة عن شـهداء الوطن، ووجد نفـسه يكّور بين يديه الكلمة التى عـافر فى كتـابتهـا بالأمس قرابة الساعـتين. . فسـيرتجل هذا الصباح كلمة الإذاعة المدرسية، وعن الموضوع نفسه بعد أن أصبحت المظاهرات التى تنقلهـا القنوات الفضائية لا تهدأ أبدا وتـطالب بالقصاص مـن القتلة أنفسـهم الذين حاربهم الشهيد الرفاعى. .

ومع صوت نفـير سيارة المدرسة؛ كـان يخطو واثقاً وفى ذهنه عشـرات الكلمات المرتجلة عن والده العمـيد

أركـان حرب إبراهيم الرفـاعى وزمـلائه حمـاة الوطن ومقتطفات كاملة من الرواية التى كتـبها جمال الغيطانى عن والده؛ وفاز بها بجـائزة الدولة؛ ويكاد يحفظها عن ظهر قلب.

❖ ❖ ❖

# عين كليلة (فريسة)



**نسيت** نفسهـا؛ النحلة الصغيرة المفـكرة؛ واختالت معجـبة بصحتها وقـوامها، وقلقلت سلاحهـا وطوحته بعيـداً، وتركت مكانها فى الحراسـة على بوابة المملكة، وأظهـرت - فى وضوح - عـدم اهتمـامهـا بواجبـات الحـراسـة والأمن والمركـزى وأى شـىء يدخل فى باب النظام..

اتجهت مـسرعة لتطرق بلاط الملكة؛ فى جرأة غـير عادية؛ وعلى غير العادة ارتفع صوتها:

- يا جـلالة ملكة النحل سـيد الـدنيا، اذكـرى لى تفسيراً واحداً يجعلنا «نحن أهل الحذق والفطنة والقناعة والسـعى والتنزه عن الدنيـئة» نسكت على هذا الحـال: نتعب، ونكّد ونشقى ولا نأكل من كسب غيرنا، طعامنا طيب وسـعـينا فى جلبـه دون حـدود؛ نحـرس مملكتنا الرشيدة بجيوش جـرّارة تقينا شر أعدائنا، نجلب الرحيق

من زهور البرسيم والفول والـقطن وفواكه الحدائق، ثم ننسجـه شهداً جنيـاً فيه شـفاء للناس، وفـجأة يداهمنا الآدمى؛ الشـاهق مـثل جـبل؛ فى مـواسم يعرفـهـا؛ يهاجـمنا وقد حصّن نفـسه بشبكة سلكيـة كبيرة مـانعة الاختراق يخـبىء فيها رأســه، ومدخنة مُهلكة يشـرعها أمامــه وهى تنفث دخـان الموت ظلاماً وغـيوما وريـاحا عاتيـة حتى نهرب ويخلو له الجـو فيسرق شـقاء الموسم كله، يفك الآدمى براويز الخـلايا ويحصل على شـهدنا فيأكل منه مـا يأكل ويبرطم منه فى برطمانات زجـاجية وعاجية وبلاستيكية شفـافة تحمل أسماء مزارع متعددة، ويتحـول جهدنا وعرقنا وكـدنا إلى اتفاقيات وعـلاقات ومسـاهمات وشركات تجـارية متعدية الجنسـيات وأرباح تدر القناطير المقنطرة من الأمـوال. . وكأنه - الآدمى - الذى دار ولف وجلب الرحيق وصـاغه شهداً فيـه شفاء للناس. .

هبّ الحراس للانقضاض على النحلة التى لم تفهم الدنيا ونسيت نفسها فى حضرة الملكة؛ وتأديبها. . لكن الملكة العاقلة أنهت بإشارة من يديها هذا التوتر وطلبت من النحلة الغاضبة أن تضع عقلها فى رأسها وتفكر جيداً، قالت لها:

- الآدمى يا بُنيتى يزرع الزرع فنتغذى على رحيقه، ويحمل لنا فى مواسم الجدب ما نعيش منه؛ يجلب السُكّر ويذيبه فى الماء ثم يتركه فى عيون أمام أبواب مملكتنا، ويخصص حُراساً لنا من بنى جنسه لوقايتنا شر عداوات الأعداء والخصوم من الدبابير والسحالى والثعابين والفئران والنمل الفارسى وكل ما لا نقدر على دفع شروره وأذاه. .

هزّت النحلة الصغيرة رأسها، وخرجت وهى تبرطم وتبرجم. . و. .

ومنذ ذلك اليوم وهى - بالفعل - قد تغيرت نفسيا واجتماعيا وبيولوجيا. . شردت وأصبحت غير مبالية إلا بأمر واحد: حرمان الآدمى؛ الشاهق مثل جبل؛ من شهد النحل. .

بدأت النحلة تميل رؤوس النحل الصغير عديم التجربة؛ مثلها؛ نحو تنفيذ خطتها، وفى الوقت نفسه تتظاهر بحب النظام والإنهماك فى العمل. .

وتمر أيام وليال. . طنين، وعيون، وريبة، وقلاقل، وطنين غريب، ومع اتساع دائرة الرؤوس التى تميل مع النحلة الصغيرة يكثر الطنين الغريب. . الشغالات تركن أعمالهن، وجيوش الحراسة لم تعد تحمل السلاح، وسرت عدوى دخول النمل الفارسى أفواجا يعبّ الشهد من العيون السداسية بدلاً من سكر الآدمى المذاب فى الماء والدبابير الحمراء أحكمت أفواهها على عدد كبير

من الشغالات المتعبات، وها هى العيون السداسية أصبحت قاحلة وحل فيها الخراب..

وجاء الموسم، وذات صباح - كعادته - هلّ الآدمى؛ الشاهق مثل جبل؛ أمامه مدخنته، وابتسامته الواسعة تعلو وجهه «المحصن داخل شبكة سلكية كبيرة مانعة الاختراق» عندما رأى الحركة وسمع الطنين العفِّى... سمىّ الآدمى باسم الله، ومن شر حاسد إذا حسد، وما أن رفع الغطاء الخشبى لأول خليّة حتى غامت الضحكة الواسعة..

والخلية الثانية!!

والعاشرة!!

و... إنهار الآدمى؛ الشاهق مثل جبل؛ ووقع أرضاً وهو يردد:

- العوض من الله، الخلايا خربت..!!

وبعـد وقت؛ لم يحـدده بالـضـبط، تمالك الآدمى وحمل أوانيـه التى كان سيجـمع فيها أقراص الـشهد، وسحب أولاده فى كـعبه وانحـدر عائداً فى طريق داره وهو يضرب كفاً بكف. .

والأيام تمر، ويحل الجـدب، والأزهار مـا أورقت، ولم يأت الآدمى؛ الشـاهق مـثل جـبل؛ ليطل، حـتى الحارس الصغير قاتل الدبابير والسحالى والثعابين والنمل الفارسى قـد رحل، وهلّت أسراب صـغيرة مـن دبابير وسحال فى غزو محكم للممالك المتجاورة.

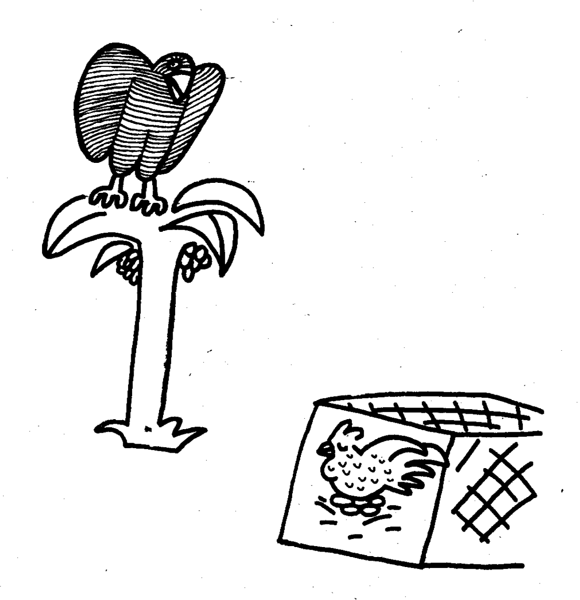
فى تلك الساعـة الحرجة؛ وجدت النحلة الصـغيرة نفسها محاصـرة من كافة الإتجاهات، وأيقنت فى قرارة نفســها - وصرخت به فى الوقت ذاته - أن الخـرب قد حلّ. .

لكن وقت تصـحيح الأخـطاء كان قـد ولىّ، فقـد

سـدت الطرق عليهـا سحلـية كـبيـرة؛ مثل ديناصـور خرافى، فـاتحة فمهـا العميق عـمق بحر ومتأهبـة تماما لالتهام الفريسة. .



# عين عنيدة (إزالة آثار العدوان)



الغراب الماكر؛ منفوش الريش؛ تعوّد أن يدور فى الهواء دورة حول جريد النخلة العالية، ثم يحط فجأة من الإرتفاع العالى على عشة الدجاج الذى يرقد على بيضه قبل أن يفقس وتخرج منه كتاكيت صفراء اللون مزركشة باللونين: البنى الفاتح والأبيض كأنها زهر نبات الفول..

يعمل الغراب عملته: يخطف بيضة من تحت دجاجة راقدة فوق بيضها، أو يرتفع مرة ثانية محلقا فى الأعالى وبين مخلبيه أحد الكتاكيت الصغيرة، وما أن يحلّق بصيده فى السماء حتى يخرج الدجاج من مخابئه، ويقأقىء فى ذعر هنا وهناك، والديوك تصيح: «كو.. كو..» مطأطئة رأسها كأنها مكسورة الجناح..

وتضرب بأجنحتها المرتخية فى كل مكان تعبيرا عن الإحتجاج الشديد وقلة الحيلة..

تهش الدجاجة المسكينة التى فقدت كتكوتها، وتنش، وتفرّ الدموع من عينيها وهى ترى صاحبة الدار تدخل العشة ماسكة مكنسة طويلة وتنظر هنا وهناك بعد أن يكون الغرب الماكر قد طار بعيداً بالفريسة.

تنظر صاحبة الدار جهة الدجاجة الراقدة فوق بيضها انتظارا للفقس، وتقّرب وجهها جهة البيض الذى يظهر بعضه من الجناحين المبسوطين فوقه، وترى بعضه مجرد قشر مكسور دون كتاكيت صغيرة، فتخرج وتصرخ وهى ترفع مقشتها فى وجه الدجاجة المسكينة، وتصيح مستغيثة بجيرانها: «روحوا يا أولاد، تعالوا يا أولاد.. الفّروج الخائب يأكل كتاكيته!!»..

وتخبط صاحبة الدار على صدرها مفزوعة، وتجرى «وفى يدها مكنستها طويلة اليد» خلف الدجاج الخائف الذى يقأقىء ويجرى هنا وهناك، والديوك التى

تصيح . .

تهش صاحبة البيت دجـاجة ، وتنش ثانية ، وتشّوح في وجه ديك نفش ريشه ؛ قائلة :

– عشنا ورأينا العجب . . الفرّوج يأكل بيضه ! !

وتجرى صاحبة الدار إلى أحـد أركان العشة وتمسك دجاجة وتمد يدها لإبنتها وهى تصيح :

– طيـر تربيـته خـسـارة ، مادام يأكل بيـضـه أكله أحسن . .

وتنادى – صاحبة البيت – على ابنها ليجهز السكين لذبح الدجاجة وتجهيزها للعشاء بها . .

وفى كل مرة تتناقص أعداد الدجاج والديوك .

ومرة من المرات ؛ فكر أحد الديوك العتيقة فى حيلة يخلّص بهـا الدجـاج من تهـمـة أكل لبيض وصـغـار

الكتاكيت بمجرد فقسها، وفى الوقت نفسه معاقبة الغراب الماكر.. وقال الديك العتيق لنفسه:

- أحسن طريقة نصنع مصيدة توقع بالغراب الماكر..

بعد أن فكر الديك العتيق فى كيفية تنفيذ حيلته، مال على أصحابه وحكى لهم عن الحيلة التى فكر فيها للخلاص من سطو الغراب الماكر على البيض الراقدة عليه الدجاجات وخطفه الكتاكيت الصغيرة من أمهاتها بمجرد فقسها..

الديوك هللت وفرحت للفكرة التى ستخلص الدجاج من الغرب الماكر وغاراته المتكررة، وتصايحت الديوك وهى تضرب بأجنحتها من الفرحة:

- كوكو كو.. كوكو كو..

وبدأت الديوك تنفيذ الفكرة ونصب مصيدة للغراب

الماكر، وبدأ العمل بهمة وسط تعجب الدجاج من هذا النشاط الكبير . .

ديك يأتى وبين منقاره أحد الخيوط، وديك يجلب معه أحد السلوك الشائكة وهو يحذر من الاقتراب من السلك الشائك، وثالث يجّر عصا رفيعة، ورابع يدحرج خشبة فى نهايتها مسمار، وخامس يضرب جناحيه فى الهواء وهو يضع بجوار العش بعض الخيوط، وديوك كثيرة تروح وتجىء، والعمل يجرى بهمة ونشاط، والديك العتيق الشاطر يقوم بتوصيل السلوك والعصِّى والمسامير ببعضها ويصنع مصيدة متينة غير مرئية بجوار البيض الراقدة عليه الدجاجة التى فى مدخل العشة، وبجوارها وفوقها تم رص حجارة بيضاء صغيرة مدورة كأنها بيض الدجاج، وظل العمل فى مهارة ودون ملل حتى أقبل الليل وحلّ الظلام . .

أصبح الصباح وأصبح المُلك لله . .

والجميع يترقب ما سيحدث من الغراب الماكر . .

ومع الضحى حدثت خلخلة فى الهواء، فالغراب الماكر يهبط فاردا جناحيه الكبيرين وهو يضرب بهما الهواء، وكعادته انقض بمنقاره ومخلبيه على البيض . .

فجأة وجد الغراب الماكر رجليه تلتف حولهما خيوط وتضربها أحجار، ومنقاره الذى يضرب به البيض فيجده - على غير العادة - صلبا ثقيلا وغير قابل للكسر!!

ويتفلفص ويتملمص فى محاولة للخلاص، ويصيح فى انزعاج وألم:

- آي ي آي . . آي . .

الغراب الماكر وقع فى المصيدة ويحاول التخلص من الفخ المنصوب له، لكنه وجد الديوك تهجم عليه من

كل اتجاه وتضربه بأجنحتها وتخمش جسده بمناقيرها، وكل منقار يخرج ومعه ريشة من ريشه..

- كاك.. كاك.. كاك..

وقع الغراب الماكر فى شر أعماله، وأخذ يصرخ من الألم ويصيح مستنجداً:

- كاك.. كاك.. كاك..

- كوكو كو.. كوكو كو..

ديوك تصيح فرحة، ودجاجات تقأقىء من الفرحة غير مصدقة، والمناقير ما تزال تعمل فى جسد الغراب الماكر وتنزع ريشة ريشة بعد ريشة، ومع كل ريشة يعلو صراخ أجش:

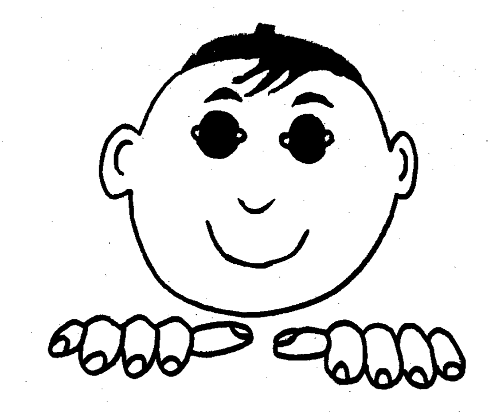
- كاك كاك.. كاك..

وهكذا وجد الغرب الماكر نفسه عارياً منزوع

الريش، وجسـده ينزف الدم. . وها هى صاحـبة الدار قادمة على الضجة الكبيـرة وفى يدها مكنستها ذات اليد الطويلة، وتأكـد الغـراب الماكـر من نهـايتـه وهو يرى المكنسـة ذات اليـد الطويلة ترتفع فى الهـواء ثم تهـوى عليه. وتصرخ منادية على جـيرانها وهى فى غاية الهلع لرؤية غـراب النحس العـجـيب وأسنانه التى تبـرر من جانبى منقاره كأنها مصاصة دماء. . !!



# عين بليدة: فيها.. وإلاّ..!



2004

● ترنيزه!!

- بحرى الجيزه..

● وان عدّت؟!!

- ما عنها ردت..

هذه المرة؛ بمجرد تقسيم التقسيمة، والسنترة وتجعيرة الصوت: «ترنيزه»، وقبل أن يشمط صاحبنا الكرة الخيّوش بقحفه المعووج من نهايته المحشوة بالنوى الناشف تحت جلد ذيل بقرى مما جعل نهاية القحف مثل زلطة كبيرة، قبل أن يشمطها تماما تيّبس - فجأة - فى وضعه المضحك: قحفه بين يديه المرفوعتين لأعلى ونصفه العلوى يشكّل مع نصفه السفلى زاوية منفرجة، وجسده كله يشكّل زاوية حادة جدا مع أرضية الملعب الناشفة والمتشققة.. وما أن يندفع ثالث لاقتناص الكرة الخيّوش من أمامه حتى يأخذ باله؛ هذا المندفع؛ حين تحين التفاتة منه جهة نظر العين التى كأنها تحجرت

مكانهـا فيتـحجـر هو أيضا فى وضع أقـرب إلى وضع صـاحبـه الأول المتشـكل - الآن - مع أرضيـة الملعب بزاوية حادة جدا مثل جانب عين معمّصة . .

هنا؛ يرمى صـوت شـتـائمـه اللاذعـة عن تعطيل اللعب، وفى نصف المسـافـة من ركضـه بقطع الشـوط يلحظ مـا لاحظه المتصلبون فـى وقفتـهم فيتـصلّب هو الآخر فى وضع أقرب من أوضاع الآخرين . .

والرابع . .

وسادس وسـابع؛ حتى تكـتمل لوحـة أشبه بغـيط مغروسة بالنخيل المائل سباطه حتى يكاد يلامس الأرض الشراقى الفاتحة أفواهها للسماء . .

هنا - فـقط - تكون العـيون كلهـا قـد تيبـست؛ تقريبـا؛ على صورة صاحبنا وهو يضع قـدمه الهمجـية المتشـققة فى خطوط طوليـة وعرضيـة سواء مثل كـومة سحـال مبعـزقة أسفل القـدم وأفواهها مـشرعة ناحـية

ظهرها . .

يضع صاحبنا قدمه الوحشية فوق كرتنا الخيّوش ناطرا صوته الأجش:

- فيها أو أخفيها يا اولاد الخسرانه . .

تفركشت اللوحة المتحجرة وكدنا نفطس على أنفسنا من الضحك ونحن نسمع تصميمه:

- ألعب يعنى العب . . !!

«برميل ويلعب!!» نطقت بها عيوننا وقرأتها العيون جميعها وهو يصمم ويحلف بأغلظ أيمانات المسلمين أنه يلعب يعنى يلعب!!

جرينا إلى جلابيبنا ودسسنا فى سيّالته الكبيرة ما معنا من أمشاط كبريت وأقلام رصاص، وبرآيات، وسودانى، ومفروكة . . ومُخه تجبّس على اللعب «ألعب يعنى ألعب» . . !!

اغـتظنا آخـر غـيظ، يخـبص ويفتن وينقل أنصـاف الكلام، وعندما نواجهه بأعماله السوداء يجعلنا- دائما- في موقف الدفـاع. . نقاطعه فنجـده في ذيولنا في كل الأماكن: ابتداءً من عتبات بيـوتنا حتى عودتنا إليها بعد غيـبة القمر، ويـكون حظنا في انتظارنا: سب وشتيـمة وايمانات مسلمين وضرب. . وهو لا يحرّم. . !!

الأمر الأخير حـدث فجأة وبدون ترتيب أو اتفاق: وجدنـا أيدينا جمـيعـها تسـحب الكرة من تحت قدمـه الغيظة المتـشققـة، ومع ضغطه بقـدمها والشـد وجدناه يتشردح على ظهره مهبوداً على الأرض قاطع النَفَس. .

على الفور رمـينا الكرة الخيوّش وانعقـدت الأقحف على هيئة صلبان، وربطناها بأحزمتنا حتى أصبحت ولا أجدع حـسنية، و«هيـلا بيلا» وضعناه فـوقهـا، ورفعنا الخشبة فوق أكتـافنا، وعلى أقل من مهلنا مشينا صوب داره في سُـرة البـلد وهو فـوق اكـتـافنـا في ثقل طن

حديد . .

ما ان دخلنا السكة الجديدة حتى نظرت واحدة فوق أكتافنا وضربت بالمخ، انزغفنا والناس تهرول ناحيتنا وجلا بيبهم فى أسنانهم وأصوات النساء ترقع، وعشرات القبضات تمتد إلى الخشبة قائلة :

- أجِرْنى . .

ووسط العفلقة والتراب المتطاير والقبضات التى تفصص الأخرى لتنال ثواب حمل الميت، فجأة-أيضا- وجدنا يرفع قامته ويستند بكوعين ناظرا لاسفل؛ مستنكرا :

- أنا ما ممتش يا ولاد الـ « . . » . .

حامت فى رؤوسنا فكرة هبت على الأرض، لكن بعضنا تشبث بالخشبة خشية تنفيذ هذه الفكرة حتى وصلنا إلى بيته فى سُرَّة البلد، أنزلناه سنَّة سنَّة، ومن يومها نعوده ونحن فى طريقنا إلى الملعب ومعنا كرتنا

الخيوّش، يمد أمامنا ساقه المجبرّة وعينه على ما بأيدينا، نترك في جواره ما معنا من حلبة وفول حراتى وبصل وكيزان ذرة، ولسان حالنا يضحك من أنفسنا عندما كنا نتراهن على تفزيعه أو عمل عمل له أو قراءة عدِّية ياسين عليه بالمقلوب أو كسر مُلة خلفه وهى فى محبسه، لكن الذى حدث عكس ذلك تماما، إذ أصبح سكتنا فى الذهاب إلى الملعب وقبل أن نوّدع بعضنا أمام عتبات بيوتنا والقمر فى طريقه إلى الإنزواء خلف شواشى الذُرة، ونحلف لبعضنا أن اللعب من غيره بدون طعم!!

❖ ❖ ❖

# الفهـرس

## •• صدر من هذه السلسلة

١- آلام صغيرة وقصص أخرى - الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة عام ١٩٩٨

٢- يوميات عروبة - د. هانى الرفاعى

٣- ما رواه البحراوى - عبدالرحمن شلش

٤- أبناء نادى القصة - محمد محمود عبدالرازق

٥- زوجتى لا تريد أن تتزوجنى - فتحى سلامة

٦- الحى الراقى - فتحى مصطفى

٧- الياسمين يتفتح ليلا - عزت نجم

٨- حدائق السماء - محمد سليمان

٩- الفائزون بجوائز آخر القرن العشرين - الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة

١٠- دلونى على السبيل - محمد الشريف

١١- الجدة حميدة - حسن الجوخ

١٢- فستان زفاف قديم - على عيد

١٣- بحر الزين - حسن نور

١٤- من أوراق العمر - محمد كمال محمد

١٥- إحراج - نادية كيلانى

١٦- البنات - هدى جاد

١٧- عاد الأسد.. أسداً نبيلا - عبدالمنعم السلاب

١٨- عراف السيدة الأولى - محمد القصبى

١٩- حكايات عن العربيد - صلاح عبدالسيد

٢٠- السلمانية - صلاح معاطى

٢١- الفائزون أول القرن الحادى والعشرين - الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة.

٢٢- صبحى الجيار والمحنة المضيئة - مصطفى عبدالوهاب

٢٣- الرغبة الوحيدة - صوفى عبدالله

٢٤- الغزال فى المصيدة - محمود البدوى

٢٥- خراط البنات - صفوت عبدالمجيد

٢٦- القصة القصيرة عند ثروت أباظة وقضايا المجتمع - حسين عيد

٢٧- حوار مع جنية - عصام الصاوى

٢٨- ليلة موت - عبدالحميد الفداوى

٢٩- حبيب حبيبى - درويش الزفتاوى

٣٠- لقاء غير متوقع - محمد صفوت

٣١- التوأم وقصص أخرى - الفائزون فى مسابقة نادى القصة للقصة القصيرة

٣٢- أكثر من عمر - عبدالفتاح مرسى

٣٣- من حياة الحياة - رستم كيلانى

٣٤- فرحة الأجراس - عبدالعال الحمامصى

٣٥- أنا.. ونورا.. وماعت - رفقى بدوى

٣٦- الليلة الثانية بعد الألف - مختارات من القصة النسائية فى مصر - إعداد وتقديم يوسف الشارونى

٣٧- ثلاثية آدم وحواء - عماد الدين عيسى

٣٨- الأحلام تتمشى فى الذاكرة - محمد الفارس

٣٩- بين الحكى والنقد - نبيل عبدالحميد

٤٠- مواسم الشروق - أحمد الشيخ

٤١- السقف والناب الأزرق - فؤاد قنديل

٤٢- الفائزون فى مسابقة القصة القصيرة لعام ٢٠٠٢

٤٣- خمس سنوات رملية - سمير درويش

٤٤- القصة والرواية فى السبعينيات - د. يسرى العزب

٤٥- الضوء والظلال - محمد قطب

٤٦- عين طفل - د. مرعى مدكور

**الإصدار القادم**

**فنون روائية - محمود عبدالوهاب**

دار النيـــــل
للنشر والطبع والتوزيـع
١٢ شـارع عبـده بـدران
م. الباشـا - المنيـل - القاهـرة
ت: ٣٦٢٢٥٧٨

الترقيم الدولي:
977-5414-56-3